(٢٠)

فى رابعة أحضروا بعض الجثث لمسيحيين من المقابر ووضعوها فى المسجد وقالوا: هؤلاء هم ضحايانا!

obeikandl.com

obeikandl.com

البرنامج لمؤسسات الدولة بالكامل، فبالنسبة للقطاع العام ستعاد هيكلته وتطويره، كما أن التطوير سيطول العاملين فيه أيضا حتى يستطيع أن يعود قطاعا منتجا، كما أنه من ضمن الخطط تأهيل العامل نفسه من جديد، وسيتم تدريب كل العاملين على الوسائل الحديثة والتكنولوجيا، وإن كان ذلك سيأخذ وقتا ولكن سيؤتى بثمار جيدة.

وحول الوعود من دول خليجية مثلا فى حال فوز المشير باستثمارات تساعد على تنفيذ البرنامج وإنعاش الاقتصاد؟.. ليست هناك وعود من أى طرف، وبعد توفير الأمن والمناخ المناسبين ستكون هناك استثمارات كبيرة، على حد اعتقادى، تساعد فى توفير التمويل، وفى النهاية استقرار مصر هو خيار استراتيجى للدول العربية والخليجية، قبل أن يكون مصلحة مصرية، لأن انهيار الدولة المصرية، لا قدر الله، سيعود بخسائر كبيرة على العالم العربى كله.

و عن أزمة المياه؟!.. بالنسبة لأزمة المياه عموما، سيكون هناك نظام رى حديث جدا سوف يقوم بزراعة المليون فدان كأنها ١٠٠ ألف فدان، وستكون إنتاجيتها ٨ أضعاف، وتقوم بتوفير٩٠٪ من المياه. هذا النظام يعتمد على منظومة إلكترونية وتكنولوجية فى الرى، وسنحتاج إلى أموال، والدولة المصرية لابد أن تراعى فى الاعتبار أن الترشيد سوف يساهم فى تطوير البنية الرئيسية للدولة، وهناك أفكار محل التنفيذ بنسبة كبيرة.

وعن الاقتراض؟! أشار المشير إلى أننا لن نلجأ إلى الاقتراض إلا عند الضرورة القصوى، لكنه فى الأساس ليس موضوعا ضمن الأولويات، لأن حجم الدين المصرى كبير وأرقامه مهولة، ومن ثم فإن الاقتراض يمثل المزيد من الأعباء.

وحول تعامل المشير مع الغرب؟ – المشير سيدير ملف التعامل مع الغرب وأمريكا بنفسه، وأشتون فى آخر زيارة لها التقته واقتنعت وقالت كلاما قويا للغاية، وأبدت اقتناعها بأن السيسى اتخذ القرار الصحيح، وكان حديثها إيجابيا للغاية.

«على الطبيعة»

وبعيدا عن البرامج التى قد تكون معدة مسبقا.. يتوقف الجد وحفيده أمام مقال كتبه عماد الدين حسين رئيس تحرير جريدة الشروق ويدور أغلبه حول لقاء تم بدون ترتيب مع المشير السيسى قبل ثلاثة أشهر من الانتخابات الرئاسية.. وقد جمع اللقاء بين السيسى ومجموعة من الصحفيين والإعلاميين على هامش حفل انتهاء التدريب الأساسى للطلاب

المستجدين فى الكليات والمعاهد الفنية العسكرية وذلك بمقر الكليةالحربية يقول عماد.. جلست فى البهو الرئيسى للكلية – التى تعد الأقدم فى كل منطقة الشرق الأوسط – ووجدت حولى عشرات اللواءات الذين يقودون واحدا من أهم جيوش المنطقة وأكثرها تماسكا مقارنة بجيوش لدول شقيقة تم تفكيكها كما حدث فى العراق، ويجرى تفكيكها كما يحدث فى سوريا، ناهيك عن بلدان بأكملها جرى إغراقها فى مستنقع العنف والفوضى كما يحدث فى ليبيا واليمن ولبنان.

هذا الجيش الذى استطاع أن يقفز من المركز الرابع عشر إلى المركز الثالث عشر فى التصنيف العالمى خلال العامين الماضيين برغم كل ما واجهه من تحديات ومصاعب محلية وإقليمية ودولية.

كبار الضباط تبدو عليهم علامات الرضا والابتسام بما يشى بأن الأحوال هادئة ومطمئنة. دخلنا إلى منصة الاحتفال وبدأ حفل التخرج باستعراضات عسكرية وأغانٍ وطنية تجعل المرء يعتز فعلا بقيمة العسكرية المصرية ودورها المحورى فى الحفاظ على تماسك هذا البلد، وعندما تشاهد هؤلاء الشباب المستجدين يؤدون تدريباتهم بكل قوة – وجدية وأعمارهم لا تزيد على ١٨ عاما – وجاءوا من كل أنحاء مصر تشعر بالأمان على مستقبل هذا البلد.

انتهى الاستعراض وتحدث المشير عبد الفتاح السيسى نائب رئيس الوزراء ووزير الدفاع والإنتاج الحربى والقائد العام للقوات المسلحة وقتها فى كلمة نشرتها صحف ووضع فيها حدا لكل التكهنات والتسريبات والشائعات وأنصاف الحقائق بشأن موضوع ترشحه لرئاسة الجمهورية، مؤكدا أنه لن يخذل الشعب الذى يثق فيه ولن يدير له ظهره.

أولياء أمور الطلاب الذين جاءوا للاحتفال مع أبنائهم لم يتوقفوا عن الهتاف للسيسى مطالبينه بحسم الأمر، وعندما بعث الرجل بالإشارة وصلتهم فورا فهتفوا «الله حى السيسى جاى» وانطلقت زغاريد النساء.

انتهى اللقاء الرسمى وغادر الجميع، العسكريون والصحفيون، منصة الاحتفال فى الكلية الحربية ودخلوا القاعة الفسيحة مرة أخرى ليتناولوا طعام الإفطار الذى تصدره طبق عدس شهى.

شاء حظى أن يكون مقعدى قريبا من المكان الذى جلس فيه المشير السيسى. لمحت اللواء محمد أمين رئيس هيئة الشئون المالية بالقوات المسلحة. فقمت للسلام عليه، وبعدها سلمت

على المشير، ثم بدأ الزملاء الصحفيون فى الالتفاف حول المشير، وعندما اقترح أحد الزملاء أن نجلس معه قليلا رحب الرجل على الفور بعد نهاية الجميع من تناول الإفطار.

اللقـاء لم يكـن حوارا صحفيا رسميا ولم يكن به سـؤال وجـواب، كان أقرب ما يكون إلى محاولة للشـرح والتوضيح وأين نحن، والتحديـات الصعبة جدا التى تواجه مصر الآن وفى المستقبل.

جلسـة المشير جاءت كالتالى: على يمينه الفريق صدقى صبحى رئيس الأركان – الذى أصبح وزيرا للدفاع بعد ذلك – ثم اللواء عبد المنعم التراس قائد قوات الدفاع الجوى، وعلى يسار المشير جلس اللواء عصمت مراد مدير الكلية الحربية بحكم أنه المضيف.

السـطور القادمة هى ملخص عـام لمعلومات وآراء وأفكار اسـتمعت إليها خلال خمس سـاعات من العاشـرة صباحا وحتى الثالثة ظهرا فى الكلية الحربية من المشير عبد الفتاح السيسى وبعض مساعديه ومصادر أخرى مختلفة بعضها سياسى وبعضها اقتصادى، وأظن أنها تقدم تقديرا عاما للمشـهد السياسـى فـى المرحلة المقبلة خصوصا فيمـا يتعلق برؤية المشير السيسى.

من خلال النقاش مع القيادات العسـكرية يمكن القول بأن هناك حالة اسـتياء عارمة من الحملة التى تم شـنها على الجهاز الذى أعلنت عنه الهيئة الهندسية للقوات المسلحة لمعالجة فيروس «سى» والإيدز.

أحـد القـادة الكبار قال «لماذا يتم التعامل مع أى خبر سـعيد يهـم الناس بهذه الروح الساخرة المحبطة"؟.

قائد آخر قال إن القوات المسلحة تعمل على هذا الجهاز منذ عام ١٩٩٥م، وآخر يتساءل: وهل من مصلحة الجيش أن يعلن عن عقار أو دواء أو اختراع يهم الملايين إذا كان سـرابا، مضيفا سوف تثبت الأيام صحة هذا الاختراع عندما يبدأ تطبيقه عمليا ثم لماذا يعاملنا الخارج فى موضوع الجهاز بالمعايير العالمية وينسى ذلك فى قضايا أخرى مثل الفقر والجوع؟.

فـى هذه اللحظة تحدث أحـد الزملاء من الإعلاميين الحاضرين عـن وجود خطأ فى تسويق وترويج الأمر، وعدم اتباع القواعد العلمية المعروفة عالميا.

سـألت أحد القادة عن سـر تأخر المشير فى إعلان ترشحه للرئاسة طوال هذه المدة فقال بالنص: «أقسـم بالله العظيم ثلاث مرات إن المشـير لا يريد الترشح ولا يريد المنصب لكنه

يدفع إلى الأمر دفعا وأن كل من حوله فى البلد يقولون إن عدم ترشحه سيكون ضارا بمصر هذه الأيام، وبالتالى فالرجل يريد التأكد من أن كل الملفات مدروسة والبرامج واضحة وآليات تنفيذها مضمونة.

هذا القائد أضاف: إن قرار الترشح سيكون خلال أيام بعد أن كاد البرنامج الانتخابى ينتهى بالفعل وسيكون مفاجأة للجميع بمن فيهم المرشحون المنافسون.

ويستغرب هذا المصدر من عدم اصطفاف الشعب المصرى كله خلف القضية الوطنية، ولماذا لا يكون الناس على قلب رجل واحد، ولماذا لا تتحرك القوى والأحزاب السياسية المدنية للوصول إلى الناس فى الشارع، وحشدهم خلف القضية الوطنية.

المشير السيسى يرى أن الشعب التف حول مشروع وطنى فى الخمسينيات والستينيات وأن كتلة محترمة من الوطن عاشت بسلام، وكانت حياتها مستقرة، ثم حصل نسق فكرى آخر بعد حرب ١٩٧٣م لم تكن مصلحة الوطن هى الأساس لكثيرين، ورفع البعض شعار "المهم أن نكسب وليس المهم كيف نعيش"، مضيفا أن الجيش المصرى جيش وطنى، بمعنى أنه لا يباع ولا يشترى بالفلوس أو المناصب ولا يخضع إلا لله وحده.

قائد عسكرى بارز تحدث عن دور بعض منظمات المجتمع المدنى المصرية والأجنبية فقال من منا لا يتمنى أن يكون شعبنا متطورا ومتقدما، لكن هل من المعقول أن تقوم منظمة أجنبية بتقديم عشرة ملايين دولار لبعض الشباب بهدف وحيد هو تسميم أفكاره؟

والسؤال إذا كانوا يريدون فعلا خدمة مصر وشبابها فلماذا لا يخصصون هذا المبلغ لإنشاء مصنع مثلا؟.

خلال جلسة الصحفيين مع المشير السيسى احتلت الأزمة الاقتصادية وانعكاساتها الحيز الأكبر من النقاش. وبعد نهاية الجلسة سألت أحد الخبراء عن سر هذا الاهتمام الكبير من المشير بالأزمة فرد بقوله: «الأن الحالة صعبة للغاية.. الأمر بوضوح» إن احنا بلد مش لاقية تاكل. نحن بلد مديون بـ ١,٧ تريليون جنيه وندفع كل عام ١٥٠ مليار جنيه لخدمة هذا الدين، ونعيش بـ١٦٥ مليار جنيه بعد تسديد الدعم والأجور وخدمة الدين فى حين يفترض أن يبلغ حجم الموازنة ٧ تريليونات جنيه لكى نصلح التعليم والصحة وجميع المرافق.. المشكلة ليست عجز موازنة بل أكبر من هذا بكثير. فمثلا نحتاج ١٥٠ مليار جنيه لإصلاح مرفق السكة الحديد ٢١٤ وهو رقم أكده السيسى خلال النقاش بالفعل، وقال إننا

نعيش فى دائرة شبه مفرغة، فالموظف يريد أن يحصل على راتب جيد والدولة تريد منه المزيد من العمل والمزيد من التضحية.

هنا تدخل قائد عسكرى كبير مطلع على الأحوال العامة قائلا: لولا وقوف الأشقاء العرب معنا، "كنا قطعنا بعض"، هناك فقر شديد وعوز، ونستهلك وقودا بخمسين مليار دولار سنويا، والمواطن لا يسدد إلا حوالى ٢٥ – ٣٠٪ من سعر الوقود والباقى تدفعه الدولة، مضيفا أن شخصية السيسى على المستوى الاقتصادى لا تقبل مساعدة من أحد فهو يفضل الجوع على أن يأخذ قرشا من الخارج، مضيفا أن مصر أخبرت دول الخليج عقب ٣ يوليو بأنها ساهمت فى حصار مصر والمصريين منذ عام ١٩٧٤م، وما يقدمونه من مساعدة لمصر هو مساعدة للأمن القومى العربى بأكمله.

فى هذه اللحظة كان المشير السيسى يستمع فيها إلى هذه الأرقام، التى تواجهها المرأة المصرية فى تجهيز ابنتها للزواج، لمحت دمعة تكاد تسقط منه تأثرا بالواقع الصعب، لكن الرجل حبسها فى النهاية، ورأيه أن محاور حل المشكلة الاقتصادية هى ثلاثة أبرزها القوى الذاتية، والشعب الذى لا يستطيع أن يبنى مستقبله بالإرادة لن يكون قادرا على قول لا لأى أحد إقليميا أو دوليا.

أحد الوزراء قال لى إن عمق الأزمة الاقتصادية يمكن ملاحظته بقوة خلال اجتماعات مجلس الوزراء، فالوزراء يكادون يلطمون من هول الواقع الاقتصادى المزرى، مضيفا أن أحد محاور التأثير الخارجى فى مصر هو «اللعب على فقر المصريين»، وأن هذه المشكلة أحنت ظهر مصر والمصريين ولابد من حل حقيقى يكسر هذه المعادلة، عبر عدة محاور مشيرا إلى أن ما قدمته القوات المسلحة فى عام واحد للاقتصاد يعادل ما تم تقديمه فى عشر سنوات.

فى اللقاء مع الصحفيين كشف المشير السيسى عن تفاصيل جديدة فى لقائه مع خيرت الشاطر حيث قال إنه تلقى اتصالا من نائب مرشد الجماعة يوم ٢٣ يونيو بعد إعلان مهلة الأيام السبعة وجلسنا معا ٤٥ دقيقة كانت عبارة عن تهديدات متواصلة منه حيث ظلت أصابعه تشير بعلامة الضغط على الزناد وهو يتحدث عن أنه فى حالة عزل مرسى فإن مصر سوف تتعرض لهجمات من كل جهة خصوصا من ليبيا ومن سوريا ومن سيناء ومن أفغانستان واليمن. وأضاف السيسى أنه رد فى النهاية على الشاطر قائلا له: "والله لو فعلتم ذلك بالمصريين هنشيلكم من على الأرض» ثم طلب منه أن يخبر الإخوان بأن الحل

الحقيقـى للخروج من الأزمة هو أن يقومـوا بمصالحة كل المجتمع من القضاء إلى الإعلام، ومن الأحزاب إلى الشرطة والجيش والمجتمع المدنى.

وأضاف السيسـى: «كنا حريصين على البلد بجد وكنا شرفاء ومخلصين ولم نتآمر على أحد، وقلت للرئيس محمد مرسى بوضوح: أنا لست إخوانيا ولست سلفيا أنا إنسان مسلم، وأن الجيش المصرى ليس جيش الإخوان ولن يكون».

وكشـف أنه توقع وصـول الإخوان للحكم بالفعل منذ فبرايـر ٢٠١١م بحكم أن القوى المدنية غير موجودة أو ليسـت منظمة. وأنه أخبر الجميع بذلك، وأنه قال أيضا إن التيار الإسلامى سيأخذ أكبر من حجمه لأن ٥٪ من الأصوات المنظمة فى مصر هى التى حصدت ٤٠٪ من المقاعد لوجود بعض المتعاطفين مع الأفكار الدينية التى تم عرضها بصورة براقة.

لكننى أيضا – والكلام للمشير السيسى – توقعت أن ينتهى حكم الإخوان بسرعة وقال ذلك بالفعل للرئيس السابق محمد مرسى فى فبراير ٢٠١٣م: «لقد سقط المشروع بتاعكم بعد أن تخانقتم مع كل المصريين». وكشـف المشـير أيضا عن أن مرسـى وعده بأن يصالح بقية المجتمع ثم خرج فى خطابه الأخير ليقول: «نحن أخطأنا ثم نسى كل الوعود».

وكشـف مصـدر عسـكرى النقاب عن أن محمد مرسـى كان موجودا فـى دار الحرس الجمهورى عندما حاول بعض المتظاهرين مهاجمته يوم ٨ يوليو الماضى، وأن مرسـى تمت معاملته طوال الوقت بصورة كريمة، ثم تم نقله إلى منطقة عسكرية فى الإسكندرية بعد ذلك.

أضـاف المصـدر أن أجهزة الأمن لم تعتقل أى إخوانى حتـى يوم فض اعتصامى رابعة والنهضـة فى ١٤ أغسـطس الماضى، والدولة لم تغلق الباب أمام الحل السـلمى وأخبرت الإخوان بأنها مسـتعدة لترك الاعتصام مسـتمرا طالما تم السـماح بالمرور فى الشوارع وعدم التمدد إلى مناطق أخرى.

وفجر مصدر عسكرى مفاجأة كبيرة عندما أقسم بالله العظيم إن متظاهرى رابعة أحضروا جثثا من المقابر بعضها لمسيحيين ووضعوها فى مسجد الإيمان القريب من رابعة العدوية.

كما كشـف النقاب عن أن كل من قتلوا من المعتصمين فى رابعة هم ٣١٢ شـخصا، فى حين قتل من الشرطة ٢٥٠ شخصا خلال الفض والأيام التى تلته، إضافة إلى عدد كبير من ضباط وجنود الجيش. أضاف أن الإخوان فشلوا فى الإجابة عن السؤال الحاسم بعد ٣ يوليو وهـو: هل يريدون بناء وتنمية أم مواجهة؟ وهم قـرروا أن يختاروا المواجهة، وعن الوضع

فى سيناء قال قائد آخر: «إن القوات المسلحة ظلت مغلولة اليد فى المنطقة لمدة ٣٠ شهرا تتعرض للقتل ولا ترد، ثم دخلت فى مناطق «ب» و«ج» والناس كانوا يسخرون منا طوال الوقت، ثم فاض الكيل ولو سكتنا كان الإرهابيون سيدخلون بقية البلد».

«الحملة الشرسة»

تعرض المشير السيسى لحملات هجوم متعددة سواء قبل ترشحه أو بعده.. بدأت بكتابات وقحة على جدران الحوائط والأسوار فى عموم مصر.. إلى جانب ما تبثه قناة الجزيرة وصحف إنجليزية وأمريكية وفرنسية وأوربية أخرى.. وقبل أسابيع من إجراء الاستحقاق الرئاسى وبعد أن استقر الأمر على أن المنافسة على مقعد الرئاسة ستكون قاصرة على المشير السيسى الذى نجح فى جمع ما يقرب من نصف مليون توكيل بتأييده، والسيد حمدين صباحى الذى جمع حوالى ٣١ ألفا بالكاد.. عندها خرجت وكالة الأنباء الفرنسية بتقرير كان عنوانه «الانتخابات الرئاسية بين الاستقرار والثورة» والفكرة الجوهرية فى التقرير كما أوضح الكاتب «السيد زهرة» إن المصريين حين يختارون بين المرشحين السيسى وحمدين فإن عليهم أن يختاروا بين الاستقرار أو تحقيق أهداف الثورة.

هذا على أى حال هو المنطق الذى يروج له حمدين صباحى وأنصاره فى حملتهم الانتخابية فى مواجهة السيسى. منطق يقول إن حمدين هو مرشح الثورة وهو الذى يعبر عنها والقادر على تحقيق أهدافها.

ويعنى هذا المنطق فى الوقت نفسه أن المشير السيسى لا يمثل الثورة، وإنما يمثل العودة إلى الماضى والاستقرار على هذا الوضع من دون إحداث التغيير المنشود الذى من أجله قامت الثورة.

ومع أنه من حق حمدين وأنصاره أن يروجوا له كما يشاءون وأن يقدموه بهذا الشكل إلى الناخب المصرى، إلا أن هذا المنطق، منطق أن الاختيار المطروح هو إما الاستقرار وإما الثورة، هو منطق غريب. وهو فى الحقيقة منطق أعوج وفاسد ومضلل.

وقبل مناقشة هذه المسألة، لابد من القول إن هذا المنطق ينطوى فى جوهره على ظلم شديد للمشير السيسى وللشعب المصرى كله، وينطوى على عجز فاضح عن قراءة التحولات التى شهدتها مصر منذ ثورة ٣٠ يونيو على الرغم من أنها واضحة وضوح الشمس.

من الظلم الشـديد للسيسى والشعب المصرى تصوير انتخاب السيسى على أنه خيار فى مواجهـة الثـورة، أو أنه اختيـار لن يحقق أهداف الثورة، أو أنـه يعنى العودة إلى ماضى ما قبل الثورة.

الأمر هنا ببسـاطة شـديدة أنه لولا المشير السيسى لما كان من الممكن الحديث اليوم عن ثورة أصلا، ولما كان قد طرح أساسا أى حديث عن تحقيق أو عدم تحقيق أهدافها.

الذى حدث يعرفه الكل جيدا فى مصر والعالم.

الشعب المصرى ثار ثورة عارمة فى ٣٠ يونيو مطالبا برحيل حكم الإخوان المسلمين بكل استبداده وتخلفه، وبكل المخاطر التى مثلها على استقلال مصر بل ووحدتها.

وقد كان انحياز جيش مصر الوطنى بقيادة السيسـى إلى الشـعب فى ثورته هذه عنصرا حاسما فى نجاح الثورة وفى تحقيق مطالبها ورحيل الإخوان.

بثورة ٣٠ يونيو ودور السيسى، تم إنقاذ مصر والشعب المصرى من مصير مظلم كان فى الانتظار لو استمر حكم الإخوان.

إذن، لولا دور المشير السيسى لكان الإخوان جاثمين على صدر مصر اليوم يعيثون فيها استبدادا وخرابا وتمزيقا.

لولا دور المشـير السيسـى لما كان مطروحا أن يتحدث أى أحد أصلا عن تحقيق أو عدم تحقيق أهداف الثورة.

السيسـى هو الذى حمى الثورتين، أى ثورتـى ٢٥ يناير و٣٠ يونيو، وهو الذى أعطى المصريين أملا جديدا فى العمل على تحقيق أهداف الثورتين.

ولا يمكن أن ينكر هذا الدور أو يطعن فيه إلا كاره لمصر، أو جاهل، أو مغرض.

إذن كما ذكرت من الظلم الفادح ومن السخف الشديد أن يحاول البعض تصوير السيسى على أنه يقف فى معسـكر آخر غير معسـكر الثورة، وأن حمدين هو وحده الذى يعبر عن الثورة وأهدافها.. هذا بشكل مبدئى عام؟!..

❑❑❑